

Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/Yayınlanma
13 /12/2017	29 /01/2018	1/3/2018

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د.محمد خضير فياض الحمداني

### المقدمة

ذكر أبن خلدون أن كلام العرب الذين أدركوا الإسلام، قد فاق كلام عرب ما قبل الاسلام في الشعر و في النثر، بأنواعه من خطابة وكتابة ومحاوره ونحوها، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من كلام القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما<sup>(1)</sup>.

لا يمكن أن نحدد الحقبة التي بدأت الكتابة العربية فيها، لكن يحسن أن نقول إن الخط العربي المكتوب بالنقوش العربية المأخوذ من الخط النبطي يثبت، أن العرب كانوا يكتبون في جاهليتهم ثلاثة قرون على أقل تقدير، بهذا الخط الذي عرفه بعد ذلك المسلمون<sup>(2)</sup>.

والجاحظ يؤكد هذا المعنى حين يقول: لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك وكل إقطاع وكل إنفاق وكل أمان وكل عهد وعقد وكل حوار وحلف، ولتعتظيم ذلك والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يدعون قبل الإسلام من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيماً لأمر، وتبعيداً من النسيان<sup>(3)</sup>.

ومن موضوعات نثر ما قبل الإسلام الخطابة، بعد أن توافرت دواعيها في هذا العصر. وللخطابة في ما قبل الإسلام تقاليد وأعرافها كما ذكر الجاحظ: أن الخطباء كانوا يتخذون المخاصر والعصي دليلاً على التأهب للخطبة والتهيؤ، للإطناب والإطالة وذلك شيء خاص في خطباء العرب ومقصود عليهم ومنسوب إليهم، حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر في أيديهم إلفاً لها، وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها<sup>(4)</sup>.

(1) مقدمة أبن خلدون/ عبد الرحمن محمد بن خلدون ت/ عبد الله محمد الدرويش/ دار يعرب /ج3/ص315

(2) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ناصر الدين الأسدي/دار الجليل/1988/ص33

(3) البيان والتبيين/عمر بن بحر الجاحظ/ت/عبد السلام هارون/ ط/دار الفكر/ بيروت/1990/ج1/ص81

(4) المصدر نفسه/ج3/ص17

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

لم يكن في تاريخ العرب أمر أبعد أثراً من ظهور الإسلام ، فيه توحدوا دينياً وسياسياً وتطورت حياتهم الاجتماعية والعقلية والاقتصادية، ومن الطبيعي أن يتطور أدبهم شعر ونثر، ويلحظ أن تطور الخطابة كان الأوضح والأظهر من غيرها، من فنون النثر، إذ أخذها الرسول ﷺ وسيلة للدعوة إلى التوحيد والاتصال بالناس لأجل التأثير فيهم واستمالتهم، ولا ننسى الأثر الكبير للقرآن الكريم في تطور الخطابة الإسلامية والارتقاء بها شكلاً ومضموناً وأسلوباً، فتلاشت الروح القبلية من موضوعات الخطابة الإسلامية التي استجدت فيها، بحسب موضوعاتها كالخطب الدينية التي يغلب عليها طابع وعظ المسلمين وإرشادهم إلى خير الدنيا والآخرة.

والخطب السياسية التي تسعى إلى تحريض المسلمين على القتال بعد تبني كل فرقة خطيباً يؤكد حقها السياسي في تولي الأمر، وغالباً ما تسير الخطب السياسية جنباً إلى جنب مع الخطب الدينية، ومن موضوعات الخطابة أيضاً الخطب الاجتماعية التي كانت القبائل ترسل خطباءها إلى الرسول ﷺ وخلفائه مهنيين أو معززين أو مادحين أو شاكين يذكرون حاجتهم وحاجة قومهم.

وفي العصر الأموي كثرت الفتن والصراعات الفكرية والقبلية والذي يُعدُّ عصر الخطابة الذهبي، لما للأحداث السياسية من دور بارز في ازدهارها، إذ حفل العصر بالصراع بين الأحزاب والفرق الذي انصب حول الخلافة وأحقيتها، وثمة عامل آخر هو العامل الديني الذي لا يمكن فصله عن العامل السياسي حيث اختلاف المسلمين يعود إلى هذين العاملين، وكذلك دور المحافل والوفادات كان لها الأثر الكبير في ازدهار الخطابة في العصر الأموي فكثيراً ما كان رجال القبائل والأمصار يفيدون على دمشق يتقدمهم رئيس الوفد الذي غالباً ما يكون كبير القوم .

### أهمية البحث :-

لقد أراد الباحث من بحثه أن يسלט الضوء على النثر ومكانته ومنه الخطابة الإسلامية بصورها الثلاث الدينية، والسياسية، والاجتماعية .

### أهداف البحث :-

يهدف الباحث لدراسة نماذج من الخطابة الإسلامية، وأثرها في حياة المسلمين دينياً وسياسياً واجتماعياً، وعوامل ازدهار الخطابة الإسلامية.

### حدود البحث :-

عصر صدر الإسلام والأموي .

### منهج البحث :-

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابية إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

هو المنهج الوصفي التحليلي، حيث يبدأ الباحث باستعراض لنماذج من الخطابية في هذا العصر، ثم تحليل للنصوص الخطابية بغية الوصول إلى الخصائص الفنية والفكرية للخطابة الإسلامية .

هذا وقد اقتضى مني البحث أن تكون له مقدمة وثلاثة مباحث تليها خاتمة وقائمة المصادر والمراجع وملخص باللغة الانكليزية .

فالمبحث الأول : النثر الإسلامي وموضوعاته .

المبحث الثاني : الخطابية الإسلامية وموضوعاتها .

المبحث الثالث : الخصائص الفنية والفكرية للخطابة الإسلامية .

ومن ثم جاءت الخاتمة التي أوجزت، ما جاء في البحث ونتائجه راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد

### المبحث الأول

#### النثر الإسلامي وموضوعاته

نظرة عامة عن ماهية النثر

لقد شغف عرب ما قبل الإسلام بالتاريخ والقصص والوقائع التي كانوا يقطعون جل أوقاتهم، في الحديث عن فرسانهم ومآثرهم وأيامهم وحروبهم، وقد اختلف الباحثون والنقاد حول أسبقية الشعر أو النثر، وذهبوا مذاهب شتى، ومنهم الدكتور عمر فروخ إذ يرى ((أن الكلام المنشور أسبق في التعبير عن مقاصد الإنسان وعن أفكاره ثم حدثت الكلام الموزون في المناسبات العارضة في حياة الإنسان كالحجاء (سوق لإبل) والرثاء والتغني بالحب..... وبما أن الشعر يحتاج إلى شيء من التكلف والجهد فكان أقل من النثر، فكثرت رغبة الناس فيه وفي روايته))<sup>(1)</sup> .

ويرى ابن رشيق القيرواني: أن المنشور أشرف من المنظوم، لأن أسباب النظم أكثر، وميدانه أوسع، ولذلك كان عدد المجيدين من الشعراء أكبر من عدد المجيدين من الكتاب<sup>(2)</sup> . والنثر أكثر دوراناً على الألسن، وأقدم نشأة من الشعر، لذا فقد كثر النثر فلم يهتم العرب بروايته كاهتمامهم برواية الشعر، فقد ذكر الجاحظ رأيه فقال: (إنما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنشور عُشْرُهُ ولا ضاع من الموزون عُشْرُهُ)<sup>(3)</sup>

والنثر بمعناه العام: هو الكلام المرسل الذي خلا من قيود القافية والوزن وهو نوعان :

(1) تاريخ الأدب العربي/عمر فروخ 1981 ط4/ ج1 ص45

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه/ ابن رشيق القيرواني /ت محمد قرقران/ ط /المعرفة/بيروت /ص265

(3) البيان والتبيين ابو عثمان عمرو الجاحظ/ج1/ص185

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابية إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

- 1- النثر غير الفني: كلام يستعمله عامة الناس لا يتكلف قائله في إلقائه شيئاً.
  - 2- النثر الفني: هو النثر الذي يرتفع قائله فيه إلى ضروبٍ من التجويد والتجبير والزخرفة والتنميق، فيختار ألفاظه وينسق جملة، فيكون النثر الفني، ذلك لأن الكاتب يتأقن في رسالته والخطيب في خطبته، وهذا النوع هو محل اهتمام النقاد والباحثين ودارسي اللغة والأدب .
- يجد الباحث عنتاً كبيراً، عندما يحاول تحديد الزمن الذي نشأ فيه النثر في اللغة العربية، إذ أن الذين تصدوا لدراسة الأدب العربي في عصر ما قبل الإسلام لم يستطيعوا أن يصلوا إلى نتيجة قاطعة في تقدير الوجود الأدبي لنثر ما قبل الإسلام، والاطمئنان إليه وجعله مركزاً يقوم عليه البحث العلمي الرصين، إذ أن السبب في عدم الاطمئنان والثقة، يعود إلى أن وسائل التدوين والكتابة التي تحفظ هذا الموروث الأدبي لم تكن ميسرة في ذلك العصر، والعرب فيه لم يكونوا يعرفون الكتابة، وإن عرفوها لم يستعملوها في تدوين مآثرهم وموروثهم الأدبي، فضلاً عن أن النثر بطبيعته لا يساعد على حفظه في الذاكرة وبقائه فيها، إنما الذي نستطيع أن ندعيه إن عرب ما قبل الإسلام عرفوا الكتابة الفنية عن طريق الوثائق الصحيحة، كالأمثال فهناك كتب مشهورة تخصصت بها وبجانبتها كانت كتب الخطابة، التي صورت وسجلت حروب العرب قبل الإسلام ومفاخرهم ومجامعهم وأسواقهم، لذا فإن هذه الوثائق الصحيحة أكدت أنه كان لعرب ما قبل الإسلام نثرٌ فني بلغ شأواً كبيراً من الجودة والرقى. وهذا النثر الفني قد ضم الكثير من مظاهر حياة عرب ما قبل الإسلام التي كانوا يحيونها.

### النثر في صدر الإسلام

- يمثل ظهور الإسلام حدثاً كبيراً وصفحة جديدة في حياة العرب، وقد تجلت آثاره في كل مظاهر الحياة العربية، لأنه منهج حياة للبشرية جمعاء، إذ لم يعد العرب قبائل متناحرة، بل أصبحوا جماعة واحدة رحماء بينهم يشد بعضهم بعضاً .
- فقد صارت الدولة للنشر، فدعا به النبي قومه إلى الإسلام وراسل به الملوك، وكتب به العهود وشرح به الدين، وكذلك فعل أصحابه من بعد في خطبهم حين الاستخلاف وفي كتبهم بتولية عهودهم وأوامرهم إلى قوادهم ووصاياهم لولائهم ودعوتهم إلى الاستشهاد في سبيل الله ثم كثر في أواخر العصر القوي في تهوين حجة الخصم والنقاش في العقيدة، كما كثر القول في ثلب الولاة وإظهار معانيهم<sup>(1)</sup>.
- لقد ساعد القرآن الكريم في توحيد لغة الخطاب بين المسلمين في شبه الجزيرة العربية، ولا ريب في أن هذا الأثر كان يقوى مع الأيام حتى بلغ ما بلغ إليه .
- إن تبدل خصائص الأدب في الإسلام عما كانت عليه قبل الإسلام يرجع إلى أثر القرآن والحديث الشريف .

(1) تاريخ الادب العربي في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية/ مصطفى محمود/ ط/ الحلبي/ ج1/ ص43

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

### موضوعات النثر في العصر الإسلامي :

1- القرآن الكريم : هو معجزة الإسلام الخالدة، فقد أحدث القرآن الكريم من الهداية وتهديب الخلق بعدما سمع العرب له، فعمد الشعراء والخطباء والكتاب للنسج على منواله واتباع أسلوبه وسهولته، فهجروا حوشي اللفظ وسجع الكهان ومعقد القول فأخذوا يقتبسون من معاني القرآن الكريم وحكمه يصوغون آثارهم الأدبية، فتجد فيها جزالة اللفظ وروعة الأسلوب ودقة العبارة ورسالتها، بل أصبح القرآن الكريم للعربي معجزة اللغوي مهما اختلفت أمصارهم وتباعدت.

والجاحظ يؤكد هذا المعنى فيقول : وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام ويوم الجمع أي من القرآن الكريم فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقّة وسلس الموقع<sup>(1)</sup>، ومن آثار القرآن في لغة العرب أن توحدت لغتهم على لغة قريش، بعدما كانت القبائل العربية تنطق بلهجات مختلفة عنها، فانتشرت لهجة قريش في الأمصار شمالاً وجنوباً، بل سادت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، بعدما حثّ الإسلام على حفظ القرآن والتعبّد بتلاوته فأخذ الأدباء يستقون من نبعه الفيض ما يصلح لسانهم بعيداً عن توغر الكلمة وضعف اللفظ .

ونج من حرص العرب على القرآن أن تقدموا بخطى واسعة إلى المدنيّة، فانهم من أجله وضعوا علم النحو ولم يمض عليهم في الإسلام ثلاثون سنة، ثم أتبعوه بعلوم التفسير واللغة والتاريخ والبلاغة وغيرها، مبالغة في الذود عنه والحرص عليه، أما القرآن، فقد أتى بمعجزة أخرى غير معجزته في نفسه، وهي بقاء العربية ناقضة لطبيعة اللغات في عدم الثبات<sup>(2)</sup> .

حيث جمع القرآن الكريم أساليب العرب ما قبل الإسلام وعصر الدعوة بجميع خصائصها، مما دعا العرب إلى أن يقولوا عن القرآن إنه شعر وعن الرسول ﷺ إنه شاعر، لأن أسلوبه خطابي وقصصي ممزوج بشيء من الحوار والوصف وفيه مناقشة وتحليل.

أما المعاني والأغراض، فقد كان الفرق بين العصر الإسلامي وما قبله كبيراً جداً، حيث هجر الشعراء المسلمون القسم بالأوثان، وكل ما يشير إليها والكلام على العصبية والفخر بالخمير، وبالشأر ثم أحل مكانها المعاني الإسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والجنة .

أما في ما يتعلق بالأسلوب، فقد كان للقرآن الكريم أثر ظاهر في الألفاظ والتراكيب، فلقد ساعد على لغة التخاطب بين المسلمين في أنحاء جزيرة العرب، ومع ظهور الإسلام اتجه المسلمون اتجاهها عقلياً جديداً ابتعدوا فيه عن الخرافات التي كانت سائدة في الجاهلية، ثم أخذوا بالتفكير المنطقي عند معالجة الأمور وسعوا إلى طلب العلم بعد أن حثهم القرآن الكريم والحديث الشريف على ذلك، فتبدلت خصائص النثر في الإسلام عما كانت عليه، لأن اللغة - ظاهرة اجتماعية ينبغي أن تضارع الحياة في تطورها وتخضع لمؤثراتها، وهذا مما حصل للغة العربية فتطورت العربية تطورا واضحا، بعد أن وجد العرب أن

(1) البيان والتبيين / الجاحظ / ج1/ص 118

(2) تاريخ الادب العربي في عصري صدر الاسلام والدولة الاموية/ مصطفى محمود / ط2 / ج1 ص 34-35

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابية إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

القرآن الكريم يفيض عليهم من بلاغته وإعجازه وسحر بيانه فنهلوا منه، مما جعلهم ينطعون بطابعه اللغوي ومعانيه وأغراضه، كما هدّب القرآن الكريم العربية من الحوشية ومن اللفظ الغريب فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة، فلن تجد كلمة متوعدة ولا لفظاً ضعيفاً<sup>(1)</sup>.

وبخروج العرب بالإسلام إلى الفتح بدأ اختلاطهم بغيرهم من الأمم مما أكسبهم معارف وعلوم جديدة فبدأت الحياة الحضرية تتسع وتترسخ، ولكن آثار ذلك كله لا يتضح إلا في العصر الأموي، فأصبح يرى أثرها واضحاً في نتاجهم الأدبي والعلمي، متجلياً ذلك بالتعبير الواضح عن حياتهم الأدبية في أغراضها ومعانيها بأحسن الألفاظ متأثراً بأسلوب القرآن الكريم البالغ الروعة، الذي ليس له سابقة ولا لاحقة في العربية، وهو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره، فعلى هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية، مهتمين بأسلوبه المعجز وحسن مخارج الحروف فيه ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات، بحيث تحيط بمعناها وتجلي عن مغزاها مع الرصانة والحلاوة<sup>(2)</sup> 0

فالقرآن حفظ العربية قروناً متطاولة وكل ما كسبته من آداب في النثر والشعر إنما كان بفضل القرآن وبفضله تعدت آثار العربية إلى لغات أمم أخرى بعد دخولها الإسلام شاركتها في آدابها ولسانها، فلولاها لظلت العربية حبيسة الجزيرة واندرت، كما اندثرت لغات قديمة أخرى، فالقرآن هو الذي نفخ في روحها، وهو الذي اتاح لها الحياة على توالي القرون، وهو الذي نقلها من لغة البداوة إلى لغة مدنيّة حتى أصبحت لغة عالمية لأمم كثيرة اتخذتها لسان ثقافتها وآدابها، ولا يوجد كتاب له هذه الآثار العظيمة في لغته وتغير أحوال من آمنوا به، بل يقف وحده في هذا الباب إنه مفخرة العرب ومعجزة الإسلام وآياته الباهرة<sup>(3)</sup>.

### 2- الحديث النبوي :

لقد حفلت كتب السيرة والمغازي والحديث والتاريخ والأدب واللغة بالكثير من أحاديث النبي محمد ﷺ، وترجع أهمية الحديث انه مُفصّل لأصول الدين الإسلامي والمجمل من أحكامه كأحكام الصلاة والزكاة والصيام، كما روى الرواة أحاديث عن خلقه وأقواله وأفعاله ﷺ ليقتدي به المسلمون عملاً بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)<sup>(4)</sup> لقد حث الرسول ﷺ أصحابه على رواية الحديث عنه، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ (اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال: الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس) .

والناظر لأحاديثه ﷺ وخاصة التي رويت بلفظه يعرف أنه أوتي جوامع الكلم، وهذا ما يقوله الجاحظ من أنه (لم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد ويُسرّ بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين

(1) تاريخ الادب العربي/ العصر الاسلامي /شوقي ضيف/ دار المعارف /القاهرة/ سنة 1986/ ص 33.

(2) تاريخ الادب العربي/ العصر الاسلامي /شوقي ضيف/ ص 34

(3) الفن ومذاهبه في النثر العربي/ شوقي ضيف/ مطبعة دار المعارف/ ط5/ مصر/ ص 47.

(4) ال عمران اية 66

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام.... لم تسقط له كلمة ولا زلة به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب.... ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة.... ولم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقفاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ<sup>(1)</sup>

وللحديث النبوي أثره في اللغة والأدب، وإن كان لا يبلغ أثر القرآن الكريم بالرغم من انه ﷺ المؤيد من الله بمعجزة بلاغة اللسان وقوة البيان، فقد كان على غير ما يؤلف العرب في أقوالهم وفصاحتهم، وكأن الله قد أعدّه للنبوءة والفصاحة، والملاحظ لبلاغة أحاديثه ﷺ أنه قد ساعد في انتشار اللغة العربية وبقائها، محفوظة في أذهان الناس بعد أن توسعت مادتهم اللغوية بألفاظ دينية وفقهية، لم تكن تستعمل قبل الإسلام، حيث حرص العلماء في البلاد الإسلامية على دراسته وحفظه وأخذوا يستنبطون منه الأحكام وبقية ألفاظه تدور في أشعار الشعراء ورسائل الكتاب، فأضاف لها رونقاً وجمالاً، من أجل ذلك ألف المسلمون كتباً في السيرة النبوية، وفي تراجم المحدثين فالحديث النبوي دفع علماء المسلمين للكتابة في تاريخ علوم الحديث والتفسير والفقهاء، مما ساعد على قيام نهضة علمية كبيرة، ويذكر الجاحظ بعضاً مما قاله ﷺ (أنا أفصح العرب بيد أي من قریش ونشأت في سعد بن بكر) ومن يبلغ ما قاله ﷺ (ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه) وقوله (الناس كلهم سواء كأسنان المشط) وقوله (الناس كأبل المئة لا تجد فيها راحلة) وقوله (أكثرنا من ذكر هادم اللذات) يعني الموت ومن حكمه الرائعة قوله (اليد العليا خير من اليد السفلى) وقوله (الصبر عند الصدمة الأولى)، وقد ذكر صاحب البيان والتبيين أقواله ﷺ التي دارت بين الناس دوران الأمثال، والتي تُعدُّ ذخيرةً أدبية رائعة من نحو قوله ﷺ (مات جتف أنفه- يا خيل الله اركبي - الآن حمي الوطيس- لا يُلسع المؤمن من حجر مرتين- إياكم وخضراء الدمن)<sup>(2)</sup>.

أما الأمثال فلم يعد لها تلك المكانة في تاريخ النثر العربي، بسبب تغير الحياة العربية بعد ظهور الإسلام، فقد انشغل العرب عنها بتلاوة القرآن ورواية الحديث النبوي، لما وجدوا فيهما من قوة البيان وإعجازه.

### 3- الرسائل والوصايا

كان العرب تبدأ رسائلهم وكتبهم (باسم اللات أو اسم العزى)، ولما جاء الإسلام صار المسلمون يبدأون رسائلهم (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم يعقبون ذلك غالباً ب( السلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى) ثم يحمدون الله تعالياً ثم يذكر الكاتب الغرض من الرسالة يسبقه بذكر اما بعد او بدونها، وتختتم الكتابة بإحدى صفتي السلام السابقتين ومثال ذلك كتابه ﷺ إلى خالد بن الوليد، وكان قد ارسله إلى بني الحرث فأجابوه إلى الإسلام فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد: سلام عليك فيني أحمد الله إليك، الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فأن كتابك جاءني مع رسولك يخبرني أن بني الحرث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من

(1) البيان والتبيين / الجاحظ / ج2/ص17.

(2) البيان والتبيين / الجاحظ / ج1/ص15

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

### د. محمد خضير فياض الحمداني

الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهديه فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدّهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته<sup>(1)</sup>.

لقد حض القرآن الكريم المسلمين على اتخاذ الكتابة لتكون موثقاً لهم في معاملاتهم فيقول الله عز وجل (يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين..... كما علمه الله)<sup>(2)</sup>.

كما جعل الرسول ﷺ فداء بعض أسرى قريش ممن تعلموا الكتابة أن يعلموها لعشرة من المسلمين كما أخذ ﷺ جماعة تخصصوا بكتابة الوحي وعلى رأسهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهم من الصحابة.

وكتب السيرة النبوية والتاريخ والحديث تزخر بالعهود والمواثيق والمعاهدات التي كتبها النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وقد تجلت كتابة هذا العصر بطابعها السهل، وقصدها إلى الغرض، وبعدها من التكلف، وميلها إلى الإيجاز، وخلوها من عبارات التفخيم، فما عرفوا ضمير الجمع إلا له فيقولون انت وانا، ويكتب الوالي أو القائد إلى الخليفة، فيقدم اسمه عليه مثلاً: من سعد بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ<sup>(3)</sup>.

ومن رسائلهم الموجزة والكتب منها ما لم يتجاوز جملة واحدة مثل كتاب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم، فقد استنجده وهو محاصر في دومة الجندل. من خالد بن الوليد إلى عياض: (إياك أريد)، وهو أقصر كتاب عرف في الأدب العربي<sup>(4)</sup> ومن الوصايا في هذا العصر وصية أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب ﷺ قال: إني مستخلفك من بعدي، وموصيك بتقوى الله، أن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق من الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وخفّته عليهم وحق لميزان فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً<sup>(5)</sup> 000

ومن رسائل الإرشاد للقضاة كتاب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري حين ولاه القضاء .

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس .

سلام عليك، أما بعد، فأنا القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا ولي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى

(1) الفن ومذاهبه في النثر العربي /شوقي ضيف ص103

(2) البقرة آية 282

(3) البيان والتبيين/الجاحظ/ج2/ص46

(4) تاريخ الادب العربي في عصري الاسلام والاموي /مصطفى محمود/ج1/ص74

(5) تاريخ الأدب العربي/مصطفى محمود/ج1/ص74



## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

والييمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً، لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قدس ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل<sup>(1)</sup> (000) .

ومن رسائل خلفاء المسلمين إلى امراء الامصار ما كتبه عثمان بن عفان إلى عماله حين ولي الخلافة :

أما بعد : فإن الله أمر الأئمة ان يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وأن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، ولا يوشك أئمتكم ان يصيروا جباة، ولا يصيروا رعاة، فإن عادوا كذلك انقطع الحياء، والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين، وفيما عليهم فتعظوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تعتنوا بالذمة، فتعظوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ثم العدو الذي تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء<sup>(2)</sup> .

### 4- الخطابة :

لقد تميز العرب بالقدرة على ارتجال البيان والفصاحة والقول البليغ، وقد أحدث الإسلام انقلاباً اجتماعياً وسياسياً ودينياً في حياة العرب، وكان للخطابة دور كبير في دعوة الناس إلى الإسلام لاستمالتهم وإقناعهم، وكان لخطب الرسول ﷺ أثر واضح في التعريف بمعاني الإسلام الروحية، التي تقوم على التوحيد والعمل الصالح مع إيجاد الحلول للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلاقات التي تحقق سعادة الإنسان في الدنيا والاخرة، وسنفضل القول في الخطابة في المبحث المخصص لها .

### المبحث الثاني

#### الخطابة الإسلامية وموضوعاتها

لقد عرّف ابن المنصور الخطابة بقوله: قال: خطب فلان إلى فلان فخطبته، واخطبته أي إجابة والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام وقد خاطبه مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان<sup>(3)</sup> أما الزمخشري فقد قال في الخطابة : خاطبه أحسن خطاب وهو المواجهة بالكلام وخطب الخطيب خطبة حسنة واختطب القوم فلانا : دعوه أن يخطب إليهم<sup>(4)</sup> .

وقد عرّف أرسطو الخطابة بقوله : هي القدرة على النظر في كل ما يفصل إلى الأقسام في أي مسألة من المسائل<sup>(5)</sup> ويؤكد ابن ابن رشد معنى الأقسام بقوله : الخطابة هي القوة التي تتكفل الأقسام الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة<sup>(6)</sup> .

والخطابة عند الجرجاني : هي فن مخاطبة الجماهير بطريقة تلقائية تشتمل على الأقسام والاستمالة<sup>(1)</sup> .

(1) المصدر نفسه/ج1/ص77

(2) المصدر نفسه/ج1/ص77

(3) لسان العرب / محمد بن منظور/ دار صادر/ ط1 لبنان 1990/ص361

(4) اساس البلاغة/ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري/ دار بيروت/ ط1/ص167

(5) الخطابة / أرسطو طاليس/ ترجمة امين سلامة/ ص9

(6) تلخيص الخطابة/ ابن رشد/ ت721/ وكالة المطبوعات/ ص15

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

### د. محمد خضير فياض الحمداني

ويقول أبو زهرة في الخطابة: مصدر خطب يخطب أي صار خطيباً، وهي على هذه الصفة راسخة في نفس المتكلم في محاولة التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه<sup>(2)</sup>.

وعليه لا بد للخطيب أن يكون فصيح اللسان قديراً على التعبير، لأن منطقته هو ثروته وعدته وهو بمنطقته يقنع وبمنطقته يستميل، وما هزَّ المنابر في القديم والحديث، ولا تزعم الأمم وقاد الجماهير إلا اللسان الفصحاء 000 وعلى الخطيب أن يكون حاضر الذهن سريع البديهة لا يتخَّس في جواب ولا يتلعثم في دفع اعتراض<sup>(3)</sup>.

لقد أشار الجاحظ إلى تميز العرب في ملكتهم الخطابية، فأمرها ظاهر جلي لا يحتاج إلى برهان 00000 فكلامهم وليد البديهة والإلهام ولا يعانون فيه جهداً ولا يجلبون فكراً ولذلك يقطع الجاحظ بأن العرب أخطب الأمم<sup>(4)</sup>.

ومن فضائل وآداب الخطيب : أن يكون رائع المنظر جيد الإلقاء، لأن شخصيته ووقفته وإشارته وجهارة صوته وحلاوته، وحسن هندامه وبزته، وحسن خلقه كل هذه أعوان على التأثير والاستمالة<sup>(5)</sup>، وكما للخطابة فضائل وآداب فلها مساوئ وعيوب منها عيوب النطق وتشمل: عِلل اللسان التمتمة والفأفة، واللفف واللحجة والحكلة والتمتام الذي يتعنع في التاء، والفأفة هو الذي يتعنع في الفاء واللفف هو الذي يدخل بعض كلامه في بعض واللجاج هو الذي يبطئ في كلامه وينقص منه وذو الحكلة هو الذي لا يُبين كلامه ويعجز عنه اللفظ التي تعرف معانيه ويعجز عن اللفظ التي لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال<sup>(6)</sup>

ومن موضوعات الخطابة الإسلامية هي :

#### أولاً: الخطابة الدينية

حثَّ الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك طريق قوام الأمة ورفيها مصداقاً لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس.... واكثرهم الفاسقون)<sup>(7)</sup> كان الرسول ﷺ يخطب في قريش وغيرهم يدعوهم إلى التوحيد وطاعة الله وترك الشرك، بل يدعوهم إلى التفكير في الكون وخالقه والدعوة للعمل الصالح، وما ينبغي أن يسود في المجتمع الإسلامي من قيم ومثل رفيعة، وكتب السيرة والرواة قد خلفت لنا تراثاً ضخماً من خطبه ومواعظه ﷺ من ذلك انه خطب فقال: ايها الناس: ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وأن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إن المؤمنين بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما

(1) أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني/ مكتبة التوفيقية مصر/ ص103

(2) الخطابة/ محمد أبو زهرة/ دار الفكر العربي/ القاهرة / ص19

(3) فن الخطابة/ أحمد الحوفي/ النهضة/ ط1/ سنة2002/ ص11

(4) البيان والتبيين/ أبو عمرو عثمان الجاحظ / ج 1 / ص24

(5) فن الخطابة/ احمد الحوفي / ص5

(6) البيان والتبيين / الجاحظ / ج1 / ص14

(7) ال عمران اية 110

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار<sup>(1)</sup>.

ولم تكن خطبه ﷺ مواعظ بل تشريعاً لحياة الفرد والجماعة والأمة، فالمسلمون اخوة جميعاً يتساوون في الحقوق والواجبات، ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى، ويؤكد هذه المعاني في خطبة حجة الوداع.

والملاحظ في خطبه ﷺ وكلامه انه كان : لا يستعين بخلابة ولا تزويق وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه وهي مع ذلك ألفاظ جزلة لها بهاء ورونق تعمر في القلوب والصدور وترتاح لها الأسماع والأفئدة... ومن المؤكد أنه لم يستخدم السجع في خطابته بل كان ينفر منه بسبب استخدام الكهان له في الجاهلية لذلك صد عنه<sup>(2)</sup> وقد كان الخلفاء الراشدون يخطبون الناس عند طرء كل حادث جليل بلا حصر لوقت ولا تكلف لقول، فكانوا اذا حَزَبَ الأمة أمرًا، جمعوا المسلمين في المسجد لإعلان خبر أو لاستشارة أو لوعظ وتذكير.

فهذه خطبة أبي بكر الصديق ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ انتاب الناس ذهولاً عظيم وحيرة كبيرة، إذ كأنهم لم يتوقعوا أن رسول الله قد توفي، فلما علم أبو بكر الصديق ﷺ بالخبر قدم إلى بيت عائشة رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوب، فكشف أبو بكر الثوب عن وجهه الشريف وأخذ يقبله، ثم خرج إلى المسجد والناس في غمرة شديدة فخطب خطبة قال فيها :

أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه، فمن أخذ بما عرف ومن فرّق بينهما أنكر.

يا أيها الناس كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتنكم عن دينكم فعالجوه بالذي تعجزونه ولا تستنصروه فيلحق بكم<sup>(3)</sup>.

ومن الخطب الدينية خطبة الجمعة والعيدين ولكل منهما أحكامها والخطبة الدينية لها من الأهمية بمكان، إذ استمدت أهميتها من أهمية الدين الإسلامي الخفيف الذي يعد مصدراً لهداية الأمة وتشريعاً ومنهجاً لحياتها .

وبعد وفاة عمر بن الخطاب ﷺ بويع عثمان بن عفان ﷺ بالخلافة وحين تولى الخلافة قال في خطبته :

(1) البيان والتبيين/ الجاحظ ج1 ص302

(2) الفن ومذاهبه في النثر العربي /شوقي ضيف ص56

(3) اصول الخطابة والانشاء / عطية محمد سال دار التراث المدينة المنورة ص11

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

أما بعد. فإني قد حُملتُ وقد قبلت، ألا وأني متبِعٌ ولست بمتدعٍ، ألا وأن لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمع عليه وسنتهم، وسنة أهل الخير فيما لم تسنوا على المألأ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم، ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها الكثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها فإنها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة ألا من تركها<sup>(1)</sup>

وخطب الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ بالمدينة فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قال: أما بعد. فإن الدنيا قد ادبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرقت باطلاع وأن المضمار اليوم وغدا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فقد بحس عمله ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل<sup>(2)</sup>.

أما الخطابة في العصر الأموي، فقد ازدهرت ازدهاراً كبيراً بسبب عوامل عدة منها القدرة البيانية والخطابية للعرب، حيث قدّمهم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين على الأمم كالفرس واليونان، كما أن للجانب السياسي الذي تمثل بظهور المعارضة السياسية للحكم الأموي دفع الخطباء للدفاع عن مذاهبهم السياسية، مما هيأ لنشاط خطابي سياسي، ومن الممكن أن تُعد الفتوحات الإسلامية التي امتدت شرقاً وغرباً عاملاً في نشاط خطابة القادة التي تحرّض الجيوش على قتال عدوهم، فانتسعت الدولة الإسلامية، فانبرى خطباؤها يعظون الناس في مساجدهم ينشرون دعوة التوحيد على هدي القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ﷺ.

وفي هذه البيئة الدينية ومع انفتاح المسلمين على ثقافات أخرى ظهر علم الكلام بصور المناظرات والمحاورات والمجادلات في مسائل العقيدة، يقف المتكلم ومن معه يعرض رأيه بالأدلة القطعية محاولاً إفشال رأي خصمه بكل دليل وبرهان، وهذه المناظرات كان لها الأثر الواضح في ازدهار الخطابة ازدهاراً واضحاً، إذ لم يكن العامل السياسي وحده سبباً في تطور الخطابة بل العامل الديني، إذ أسست في كل بلد إسلامي مدرسة دينية تعلّم الناس أصول دينهم وفروعه، وكان العلماء القائمون عليها كثيراً ما يختلفون فيتحدّثون في وجهات نظرهم<sup>(3)</sup>

يعد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أخطب خلفاء العصر الأموي، ومن الولاة يعتبر الحجاج الذي روت له كتب الأدب والتاريخ خطبا كثيرة، وما يؤثّر عنه: أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله<sup>(4)</sup>.

(1) تاريخ الطبري/ محمد بن جرير / تاريخ الرس والملوك / ط دار المعارف/ مصر/ 1961/ ج 5 ص 149

(2) تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني/حسن ابراهيم حسن/ ط دار الجيل بيروت/ ط 13/ ج 3/ ص 238

(3) البيان والتبيين / الجاحظ ج 1/ ص 234

(4) المصدر نفسه ج 1/ ص 387

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

### د. محمد خضير فياض الحمداني

ومن خطباء هذا العصر أيضاً صاحب المواعظ الدينية المشهورة قطري بن الفجاءة وشداد بن أوس، والأسود بن سريع، وزيد بن صوحان، وعبيد بن عمير، حيث كان يعظ في المدينة، وعبد الله بن عمر يحظر وعظه وقصصه، وي زيد بن ابان الرقاش الذي كان يقول: ليتنا لم نخلق، ولتينا إذ خلقنا لم نعص، ولتينا إذ عصينا لم نمت، ولتينا إذا متنا لم نبعث، ولتينا إذ بعثنا لم نحاسب، ولتينا إذا حُسبنا لم نعذب، ولتينا إذا عذبنا لم نخلد<sup>(1)</sup>

ويقول الجاحظ في خالد بن صفوان وشيب بن شيبية: ما علمت إنه كان في الخطباء أحد كان أجود خطباً من خالد بن صفوان وشيب بن شيبية للذي يحفظه الناس ويدور على السنتهم من كلامهم<sup>(2)</sup>

كما يقول الجاحظ في خالد هو من الخطباء المشهورين في العوام والمقدمين في الخواص خالد بن صفوان.... ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوراقين<sup>(3)</sup>

وكتب الأدب حفظت لنا الكثير من الخطب والوعظ والقصص لخطباء من امثال واصل بن عطاء المعتزلي وغيره، وقد ذكرهم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في أكثر من موضع .

#### ثانياً: الخطابة السياسية

تحفظ لنا كتب السيرة والتاريخ والأدب تراثاً من خطبه ﷺ تحمل معاني وعظيمة، متحدثاً عن رسالة الإسلام الخالد، وتارة تحمل معاني تشريعية، وقد يزاوج بين الوعظية والتشريعية والسياسية، ومما يصور تلك المعاني خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع التي ضمت تشريعات سياسية واجتماعية واقتصادية، قوامها مصلحة المجتمع المسلم، ومن يعيش معه ليحفظ وحدته وسلامته، ومما قاله ﷺ في خطبة حجة الوداع: فإني قد تركت فيكم ما إن اخذتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي، فإني لا ادري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا<sup>(4)</sup> .

وحين النظر إلى البعد السياسي في عبارة (لعلي لا ألقاكم) فيها دلالة واضحة أنه كل من يكلف بمسؤولية سياسية او غيرها، لا بد وأن يأتي يوم يغادر هذه المسؤولية والمنصب، لأي سبب كان، فضلاً عن أنها تؤمىء برفض الإسلام للانفراد بالسلطة واحتكارها وممارسة الاستبداد السياسي .

(1) المصدر نفسه /ج 1 /ص 262

(2) المصدر نفسه ج 1 /ص 317

(3) المصدر نفسه ج 1 /ص 339

(4) البيان والتبيين /الجاحظ /ج 2 /ص 31

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

لقد اختار ﷺ القرآن الكريم دستوراً لأمة الإسلام وهويتها ترجع إليه في شؤون حياتها الدنيوية والأخروية، فهو منهج حياتها، ومما قاله ﷺ: إن ربكم الله واحد وأبائكم واحد وكلكم لأدم وأدم من تراب ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى<sup>(1)</sup>.

إن المنهج الإسلامي لا يفصل بين الدين والدولة، وخير دليل اختياره ﷺ لمناسك الحج لإيصال رسالة ربه للناس اجمع في خطبة الوداع، ويبلغهم بالسياسة العامة للدولة الإسلامية، وما لهم وما عليهم بشكل مباشر، وتفكير المسلمين بأن لهم ربا واحدا تربط مقدرات الدولة الإسلامية بأوامره سبحانه وتعالى، كما وضحت الخطبة العلاقة بين الفرد والجماعة وهي أمة الإسلام، والمؤمنون إخوة.

لقد جاء الإسلام بنظام جديد لحياة العرب، فقد أصبح التفاضل معياره التقوى بعد أن كان التفاخر والتفاضل بالحسب والنسب، ومما قاله ﷺ في الخطبة نفسها: وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب<sup>(2)</sup>.

لقد حذر الرسول من العودة إلى النظام الجاهلي في بناء الدولة، فقد اختار قضية حقوق الناس وكيفية التعامل فيما بينهم بعيداً عن الحروب والقتال لما فيها هدر للموارد البشرية وصوناً للدماء وحرمتها.

والقضية الثانية في غاية الأهمية كيفية إدارة واستثمار رؤوس الأموال ضمن شرعية الاقتصاد الإسلامي بعيداً عن آفة الربا، لأنه يستنزف الموارد المالية للدولة ويدمر اقتصادها.

وذكرهم ﷺ بوجوب طاعة ولي الأمر، مادام على الحق أو الانقلاب عليه، ورفض فكرة اغتصاب السلطة أو طلب الإمارة، كما قرر أن المؤمن أخو المؤمن فيبقى التعاون والتآزر فيما بينهم.

ومن خطب الخلفاء الراشدين خطبة أبي بكر الصديق عندما بويع بالخلافة بعد وفاة رسول ﷺ، فبعد حمد الله والثناء عليه قال: أيها الناس: إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أفواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم<sup>(3)</sup>.

هذه الخطبة رسمت العلاقة الصحيحة بين الحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس، والراعي والرعية، بل أنها وصفت منهج الخليفة وسياسته مع الرعية، بعيداً عن كل استبداد سياسي أو طغيان، بل يقبل الرأي المخالف له والمشورة المنضبطة بضابط

(1) المصدر نفسه / ج 2 / ص 31

(2) البيان والتبيين / الجاحظ / ج 2 / ص 32

(3) جمهرة خطب العرب / احمد زكي صفوت / ط الباني الحلبي / القاهرة 1933 / ج 1 / ص 180

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

الشرع الحنيف، فهو يطلب المعونة والمساعدة إذا لمسوا منه أنه سائر على منهج النبوة، وإن وجدوا خلاف ذلك فالواجب تقديم النصيحة للحاكم.

أما حديثه عن معيار القوة والضعف، فهو لا يخاف الأقوياء ولا يضعف عنده الضعيف، وهو العادل الحريص على المصلحة العامة فالقوي والضعيف عنده سواء فلا يخشى في الحق لومة لائم، وهذا يظهر تأثره بالأدب القرآني وفيه دلالة على سياسة الناس، وبعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سار عمر سيرته في الدعوة للجهاد ومقاتلة أعداء الله لبيسط سلطان الدولة الإسلامية، فيقول عمر رضي الله عنه في إحدى خطبه :

اين الطّراء المهاجرون عن موعود الله سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال (ليظهره على الدين كله) <sup>(1)</sup>

والله مظهر دينه ومعز ناصره، ومُؤملي أهله موارث الأمم، اين عباد الله الصالحون؟

وقال مخاطباً قائد الجيش: إسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث <sup>(2)</sup>.

يوصي عمر قائد الجيش بوصية سياسية أن لا يكون مستبداً برأيه منفرداً بقراره، بل يجعلها مشورة بينه وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحثه على النظر في مآلات الأمور.

لقد كان للعامل السياسي والمعارضة الشديدة للدولة الأموية الأثر الواضح في ازدهار الخطابة السياسية، وتطورها في هذا العصر، فضلاً عن سليقة العرب اللغوية ومواهبهم البيانية وقدرتهم الخطابية، وقد اشار لهذا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بل قدمهم على جميع الأمم .

لقد دارت الخطابة السياسية في هذا العصر دورانا كبيرا على ألسن خطباء المعارضة للدولة الأموية يروجون لأحزابهم وفرقهم ويحاولون استمالة الناس إلى ثوراتهم .

ولكي تتضح صورة الخطابة السياسية في العصر الأموي، وما اصابها من نحوض وازدهار وركي، لابد ان نقف عند زياد بن أبيه، فقد كان يقال إن أهل فارس يقولون: ما راينا سيرة اشبه بسيرة كسرى انو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمدارة <sup>(3)</sup>

لقد كان زياد بن أبيه يتمتع بالحنكة السياسية، والدهاء ويحسن تصريف اوضاع الدولة، إلى ابعد غاية، لذلك كلفه معاوية ليكون والياً على العراق فضلاً عن ذلك، فقد كان خطيباً مفوها يعرف كيف يستميل سامعيه ويأسر قلوبهم وقد نوّه

(1) الطبري ج2/ص631

(2) تاريخ الادب العربي / العصر الاسلامي / شوقي ضيف/ص126

(3) تاريخ الطبري / ج4 /ص105

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابية إنموذجاً "

### د. محمد خضير فياض الحمداني

الشعبي بذلك فقال : ما سمعت متكلماً على منبر قد تكلم فاحسن إلا احببت أن يسكت، خوفاً من أن يسيء إلا زياداً، فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً<sup>(1)</sup>.

ومن أروع ما نقلت لنا كتب الادب والتاريخ خطبة زياد السياسية الملقبة بالبتراء، وهو يصور فيها ما آلت إليه أمور البصرة، بعد أن عاث فيها اللصوص وأصحاب الظلال العمياء، وأخذ يجمل خطته في حكمه لأهل البصرة فيقول :

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: ليناً من غير ضعف وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لأخذ الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم اخاه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد) أو تستقيم لي قناتكم ... وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غزق قوماً غرقناه، ومن أحرق قوماً أحرقناه، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً، فكفوا عن أيديكم وألسنتكم أكف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر على أحد منكم ربيّة، بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه ... فاستأنفوا أموركم وازعوا على أنفسكم، فرب مسوءٍ بقدمنا سنسره، ومسورٍ بقدمنا سنسوته<sup>(2)</sup>.

هذا المقطع من خطبة زياد يوضح سياسته في إدارة حكم البصرة، فقد أستطاع بها إعادة الاستقرار والأمن بعد الاضطراب والفوضى التي عمت البصرة، وبالرغم من شدة زياد وبطشه، إلا أنه كان يفعل ذلك لأجل إعادة هياكل الدولة ومكانتها، بعد أن فقدتها إبان حكم الفساق واللصوص.

والخطبة رسمت سياسة زياد وأسلوبه في الحكم حيث كانت كل لفظة في مكانها مع وضوح دلالتها من غير تكلف فلا كلام غريب ولا تعقيد ولا توعر وحقا ما قاله عنه بعض معاصريه 000 من أنه أوتي حسن البيان وبراعة الخطاب<sup>(3)</sup>.

وقد كان لأحداث هذا العصر السياسية الدور الكبير في نهضة الخطابة السياسية نهضة واسعة، ولعل هذه النهضة هي التي جعلت المؤرخين حين يعرضون علينا الآراء السياسية أو المذهبية لزعماء هذا العصر يعرضونها في شكل خطب على نحو ما نجد في الطبري وابن الاثير 000 لأجل ان يقرع بها الأسماع ويجذب القلوب<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً الخطابية الاجتماعية

عرف عرب الجاهلية هذا اللون من الخطابة التي سميت بالاجتماعية، لأنها شملت على غرض من أغراض الحياة الاجتماعية كالمفاخرة والمنافرة والتهنئة والتعزية وإصلاح بين الناس والمصاهرة بينهم، وبعد ظهور الإسلام تطورت الخطابة الاجتماعية، ونشطت بحسب نشاط الحياة الاجتماعية في هذا العصر.

(1) البيان والتبيين/ الجاحظ /ج2/ ص65

(2) المصدر نفسه/ ج2 / ص62

(3) تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي / شوقي ضيف /ص428

(4) الفن ومذاهبه في النثر العربي / شوقي ضيف / ص70



## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

### د. محمد خضير فياض الحمداني

لقد كان النبي ﷺ يخطب في الناس ليبين لهم شرع الله في دينهم ودنياهم، وما يجب أن يسود بينهم من قيم ومثل خلقية رفيعة وعلاقات اجتماعية وثيقة، ولعل خطبته ﷺ خير مثال على حثه لأفراد المجتمع للتعاون على البر والخير، لما فيه صلاحهم جميعاً فيقول: ﷺ: أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لأمرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ويقول: أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق، لكم عليهن أن لا يوظفن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيترككم إلا بأذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتجرهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح<sup>(1)</sup>.

واضح أن الخطبة تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع، الذي ينبغي أن تتوثق فيه الروابط بل يذهب إلى أفراد الأسرة الواحدة، فيحث على رعاية حقوق المرأة، وان يحسن الزوج معاملة زوجته التي رفع الإسلام من مكانتها.

ومن الملاحظ أن الخطابة الاجتماعية نجدها منساقاً وراء الأحداث والتقلبات الاجتماعية ومن أهم أنواعها في

العصر الإسلامي :

- 1- خطبة النكاح: حيث أخذت هذه الخطبة مظهراً مغايراً عن ما كانت عليه في الجاهلية، إذ كان الخطباء يخطبون وقوفاً أما في العصر الإسلامي فكانوا يخطبون جلوساً فقد روى الجاحظ : لم تكن الخطباء تخطب قعوداً إلا في خطبة النكاح، حيث يطيل الخطيب خطبته ويقصر من يجيبه من أهل المخطوبة<sup>(2)</sup>، إذ يسعى الخطيب لتزكية الخاطب رافعاً لشأنه وربما بمدحه، لما ليس فيه، لكن تبقى الخطبة تسير على وفق السنة النبوية.
- 2- خطبة الصلح: كان زعيم القبيلة في الجاهلية هو من يفض الخصومات لأنه يمثل أعلى سلطه فيها، وأصبح الخليفة والولادة والقضاة في العصر الإسلامي يمثلون السلطة القضائية، فعندها ترفع الخصومات لهم لفضها والحكم عليها.
- 3- خطبة الوعظ والقصص: ازدهر الوعظ والقصص الديني في العصر الإسلامي ازدهاراً عظيماً، حيث أشار لذلك الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إلى أسماء لامعة ممن كانوا يعرضون الناس ويقصون عليهم من قصص إبراهيم التيمي الكوفي وسعيد بن جبیر كانا يقصان بعد صلاة الفجر والعصر، ومسلم بن جندب قاص في مسجد المدينة، والفضل بن عيسى الرقاش، حيث كان يسجع في وعظه ويقول الجاحظ عنه: إنه كان من أخطب الناس وكان متكلماً قاصاً مجيداً<sup>(3)</sup> ومما قاله الفضل بن عيسى في قصصه: سل الأرض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً<sup>(4)</sup>

(1) البيان والتبيين/ج2/ص31

(2) البيان والتبيين/الجاحظ/ج1/ص118/119

(3) المصدر نفسه/ج1/ص306

(4) المصدر نفسه/ج1/ص308

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

وممن ذكرهم الجاحظ صحارى العبدى حين وفد على معاوية فأعجب بقوله فسأله: ما هذا الكلام الذي يظهر منك؟ قال شيئاً تحيى به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا<sup>(1)</sup>، وممن وفد على يزيد بن معاوية عبد الله بن همام السلولي الكوفي الذي جمع في خطبته بين التهئة والتعزية فقال: يا أمير المؤمنين آجرك الله على التزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فلقد رزئت عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت واصبر له على ما رزئت، فقد فقدت خليفة الله، ومنحت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووهبت جزياً<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثالث: الخصائص الفنية والفكرية للخطابة الإسلامية

أولاً: الخصائص الفنية للخطابة الإسلامية:

1- الطابع الإسلامي: لقد اصطبغت الخطابة في العصر الإسلامي بالصبغة الإسلامية، بعد ظهور الإسلام حيث اتخذها الرسول ﷺ وسيلة، لدعوة الناس إلى دين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان يستهل خطبه بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة والتسليم على النبي.

ثم يشرح للناس منهج حياتهم وما ينبغي أن تسير عليه الحياة من تعاون وتكافل ومساواة وإخاء، واصفاً العلاج لكثير من المشكلات الاجتماعية كمشكلة الرقيق والعلاقات العامة بين المسلم وأخيه المسلم وغير المسلم ومشكلة العلاقة بين الرجل والمرأة، وغيرها من المشكلات التي وضع لها الإسلام لها حلولاً، بما يحقق سعادة الإنسان أيّ إنسان .

لقد افتتن خطباء السياسة بالتعبير القرآني الجميل، فاقتبسوا من حكمه ومعانيه وضمّنوا من أمثاله، لتكون خطبهم أكثر تأثيراً وأوقع في نفس المتلقي، وهذا يعود لارتباط السياسة بالدين ومن الطبيعي ان تتخلص الخطابة من كل لون أو ثوب يورث إلى الخطابة الجاهلية لا ينسجم وروح الإسلام كسجع الكهان أو خطابة المنافرات أو المفاخرة بالآباء والأحساب والأنساب، على نحو ما عُرف عن قدوم وفد تميم، فقام خطيبهم عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي ﷺ مفاخراً بأهله وقومه، وقد ندب له الرسول ثابت بن قيس بن شماس، فرد عليه مستوحياً هدي الإسلام ولم يلبثوا ان استجابوا لله ولرسوله<sup>(3)</sup>.

لقد انحسر السجع تماماً عن الخطابة الإسلامية إلا قلة من الوفود بعدما كانت الغلبة للسجع لخطباء العصر الجاهلي ، وهذا ما أكده الجاحظ بقوله: كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة<sup>(4)</sup> ويمكن القول إن السجع في الخطابة الإسلامية كان شيئاً عارضاً، إذ لم يروعن النبي ﷺ كان يسجع في خطبته، بل كان ينفر منه حين يلهج به أحد محدثيه كراهية للتشبه بالكهان في سجعهم<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه/ج1/ص96

(2) تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي/شوقي ضيف/ص430

(3) تاريخ الطبري/ الطبري ج2 /ص378

(4) البيان والتبيين/الجاحظ ج1 /ص290

(5) المصدر نفسه ج1 /ص290

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

وواضح أن الخطباء إذا كانوا قد أهملوا السجع فإنهم لم يهتموا جزالة اللفظ ورسانته، بل لقد كان همّ كل خطيب أن يحسن قوله وأن يصوغه صياغة رائعة<sup>(1)</sup>

لقد أصبح للخطابة الإسلامية غاية نبيلة كبرى، وهي السمو بالمسلم دينياً وروحياً إلى مراقبي الفلاح والكمال الإنساني، فقد استمدت الخطابة الإسلامية مادتها من القرآن الكريم واحاديث رسول ﷺ، كما في قول أبي بكر الصديق ﷺ، وهو يعظ جيشه حين ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ، حيث كانت وصاياه تنبض بروح الإسلام الخالد، وتعاليمه السامية في معاملة العدو، عندما يقع في الاسر، كما تصور مواعظه لجيش اسامة بن زيد، حينما ارسله إلى الشام فيقول فيها:

أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عني: لا تحونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعبروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له<sup>(2)</sup>

إن مما جاء في خطبة عمر بن الخطاب من كلام فصيح جزل ذي دلالة واضحة، لدليل على قدرته الخطابية العالية، سعياً للتأثير في نفوس سامعيه تأثيراً كبيراً .

### 2- الاقتياس من القرآن الكريم: دأب الخطباء على توشيح خطبهم بالآيات القرآنية سعياً منهم لاقتباس صورهم وأخيلتهم وأفكارهم

ومعانيهم من آي القرآن الكريم مستفيدين من تعبيره البلاغي، كما في خطبة ابي بكر الصديق ﷺ، حين قام خطيباً ناصحاً لجنده فقال في مواعظته<sup>(3)</sup>: إن الله سبحانه وبمحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحجج، فيما آتاكم من كرامة الأخرة والدنيا من غير مسألة منكم ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته.... وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه<sup>(4)</sup> وأهل البيان من التابعين يسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي ﷺ (الشوهاء)<sup>(5)</sup>

### 3- الاستشهاد بالشعر: امتازت الخطابة العربية عن سواها منذ العصر الجاهلي بسمة التمثيل بالشعر، حيث كان الخطباء في

الجاهلية يستشهدون بالشعر تأكيداً لأرائهم وتعصيماً لمعانٍ أرادوها، وفي العصر الإسلامي التزم خطباؤه بالتمثيل بالأشعار بعضهم يستهل خطبته مثلما نُسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال رجوا:

اللهم إن الحارث ابن العمة .... كان وفيا وبنا ذاخرة

أقبل في مهامه مهمة .... كليلة الظلماء مُدلهمة

(1) تاريخ الادب العربي / العصر الاسلامي / شوقي ضيف / ص 114

(2) تاريخ الطبري / الطبري ج 2 / ص 463

(3) المصدر نفسه / ج 3 / ص 283

(4) لقمان اية 20

(5) البيان والتبيين / الجاحظ ج 2 / ص 6

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

### د.محمد خضير فياض الحمداني

بين يوسف ورماح حجة .... يبغى رسول الله فيما ثمة<sup>(1)</sup>

وهذا الحجاج حينما قدم إلى العراق واليا، فدخل الكوفة فبدأ بمسجد المدينة فصعد المنبر، فاجتمع الناس فاستهل خطبته فقال:

انا ابن جلا وطلاع الثنايا .... متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال: أما والله اني لاحتمل الشر بحمله، وأني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمام واللحى، ثم أخذ ينشد أبياتا تنذر بما سيأخذهم به من عنف<sup>(2)</sup>.

وقد يكون استشهاد الخطيب من الشعر بيتا أو شطرا منه، ليضفي الخطيب على خطبته جمالا وزخرفا، لما يتصف به الشعر من الموسيقى التي تثير عواطف السامعين ومشاعرهم .

**4-الاسلوب التصويري:** يحرص الخطباء على التأثير في مستمعيهم بإثارة عواطفهم بمنطقهم وقدرتهم البيانية وأساليبهم التصويرية، بوسائل التكرار والسجع أحيانا من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل، حتى يبلغ الخطيب حاجته وحاجة قومه، بمحاولا إيصال المعاني إلى أذهان سامعيه في أبسط صورة، كما تصور خطبة الأحنف بن قيس التميمي الذي وصفه الجاحظ حين قال: إنه أنف مضر الذي تعطس عنه وابين العرب والعجم قاطبة<sup>(3)</sup> 0

فقد ألقى بخطبته حين ادلهم الخطب بعد وفاة يزيد بن معاوية فنشبت المعركة بين الأزدي وقبيلة تميم فقال: يا معشر الأزدي وربيعة أنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الصّهر وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار، ويدنا على العدو، والله لأزدي البصرة أحبّ إلينا من تميم الكوفة، ولأزدي الكوفة أحبّ إلينا من تميم الشام، فأن أستشرى شنانكم، وأبي حسك صدورك، ففي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم<sup>(4)</sup> 0

فجاءت خطبته على قبيلة الأزدي بردا وسلاما، بعدما حقنت الدماء وأغمدت السيوف، فالخطيب الماهر يسعى لإثارة مشاعر المتلقين بالتعبير عن أفكاره ومشاعره، مستعينا بالتصوير النفسي محركا للصور الخيالية، فالأساليب التصويرية تقرب المعاني وتقرنها في نفوس سامعيه أكثر من تلك الخطب التي تخلو من هذه الجوانب الفنية، إذ تضفي على الخطابة ثوبا جديدا وتأخذ المتلقي إلى آفاق رحبة .

ثانيا: الخصائص الفكرية .

(1) السيرة النبوية/ ابن هشام /دار المعارف /القاهرة 1990 /ج3/ص166

(2) البيان والتبيين / الجاحظ ج2/ص66

(3) المصدر نفسه/ ج1/ص60

(4) البيان والتبيين/الجاحظ / ج2/ص135

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابية إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

اتسمت الخطابة الإسلامية في هذا العصر بالسمات الآتية :

1- الزهد في الدنيا والملك والسلطان ،خوفاً من العاقبة ،وحنثاً للمتلقى على العدل وعدم الظلم، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ويسعى الخطيب إلى تذكير الناس بالموت والاستعداد له والاعتبار بالأمر السابقة والاتعاظ بها، كما كان الإنسان محورا مهم في الخطابة الدينية تناولته نشأة وغايةً من خلقه وعاقبته في الآخرة، كما نافحت ودافعت الخطابة عن الإسلام، والذب عنه والرد على محاولات التشكيك فيه ،بعد فضح الأفكار الهدامة التي تسعى إلى هدم الإسلام، فقدمت الوعظ والإرشاد وحرضت المجاهدين للجهاد والحرب وتشعبت إلى ما يتصل بالمنظرة بين الآراء السياسية المختلفة مستمدة كل ذلك من القرآن الكريم ،وخطب الرسول ﷺ.

2- سعت الخطابة الإسلامية إلى توحيد صف المسلمين، ولم شملهم وضرب كل من يحاول شق وحدتهم أو يعيث فساداً واضطراباً، لتقويض سلطة النظام في المجتمع أو من يحاول إشاعة الانحراف الفكري خلافاً، لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالخطابة السياسية ترسم سياسية الخليفة أو الوالي أو الحزب، فخطيبه يذوؤ عنه وينافح عن مبادئه، وكل من يدعو إلى فكرة أو حزب لا بد أن يقف خطيباً، لذلك ازدهرت الخطابة السياسية ازدهاراً واضحاً، إذ نجد المؤرخين والأدباء، حين يعرضون آراء الأحزاب والجهات السياسية، يعرضونها على شكل خطابة تظهر وجهة نظر تلك الجهات ومواقفهم السياسية، بعد أن اتخذوها وسيلة لنصرة آرائهم السياسية أو المذهبية.

3- لكي تكون الخطابة مؤثرة في نفوس سامعيها ومتكاملة يقتضي وجود فكرة فيها ويعبر عنها بالألفاظ والمعاني المؤدية إليها، ويعتمد هذا على الظروف المحيطة بالخطابة، كما هو الحال في الخطابة الاجتماعية، حيث تسيطر عليها فكرة إثارة المشاعر والعواطف، فخطبة النكاح تركز على رفع شأن الخاطب وتركيبته، اما خطبة إصلاح ذات البين تقوم فكرتها على التأثير في مشاعر وعواطف المتخاصمين وإقناعهم بضرورة نبذ الخلاف والفرقة والتزام التعايش السلمي، وغالبا ما تؤدي خطب الإصلاح إلى الصلح بين اطراف النزاع، بحسب قدرة الخطيب البيانية وبراعته الخطابية

الخاتمة

الخطابة فن مشافهة الناس في محاولة التأثير فيهم واستمالتهم، حيث حرص عرب ما قبل الإسلام على تبييرها وتجويدها وتنميقها، حين يفدون على الأمراء والملوك والمحافل الأخرى، وكانت جملاً قصيرة لا رابط لها تأتي على شكل حكم .

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

وبعد ظهور الإسلام أصبحت للخطابة غاية وهدف واضح تدور حول موضوعات محددة مثل الخطابة الدينية التي يتعرض فيها الخطيب لأحكام الشرع وحكمه وما ينبغي أن يسود في المجتمع الإنساني من مثل وقيم رفيعة، وفيها دعوة لإصلاح الناس والعمل الصالح، فالخطيب يستمد خطبته من القرآن الكريم والحديث النبوي محاكياً أسلوبهما والاقتباس منهما.

وفي العصر الأموي حافظت الخطابة الدينية على مكانتها بل ازدهرت فيه الخطابة السياسية والاجتماعية نتيجة لانفتاح المجتمع الإسلامي على المجتمعات الأخرى، كالفرس واليونان والهند، وكذلك ظهور الأحزاب السياسية والفرق الدينية، حيث كانوا يعرضون آراءهم السياسية في خطبهم، أما الخطابة الاجتماعية فهي منساقاة وراء الأحداث والتقلبات التي يمر بها المجتمع، فتارة خطبة نكاح أو وفادة أو إصلاح ذات البين أو تهنئة أو تعزية، ويمكن أن نحمل ما توصل إليه الباحث من خصائص للخطابة الإسلامية بالآتي:

- 1- أصبحت الخطابة الإسلامية أكثر رقة وسلاسة وعدوبةً من الخطابة الجاهلية، إذ تبدأ الخطبة الإسلامية بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ضامة آيات من القرآن الكريم، ليزيدها نوراً وبهاءً وجلالاً.
- 2- اتخذت الفرق الدينية والفكرية والأحزاب السياسية الخطابة، لسانها الناطق في الجدل والمناظرة والإقناع للخصوم.
- 3- يسعى الخطيب لإبراز أفكاره مستعملاً الأساليب التصويرية محاكياً، بذلك أسلوب القرآن الكريم، ليزيدها وضوحاً بغية إثارة المخاطبين.
- 4- أهتم الخطيب بقوة العبارة وجزالتها في خطبته مستعملاً التشبيه والتمثيل والكناية والفصاحة لأجل استمالة سامعيه. هذه أهم ما توصل إليها الباحث من نتائج، أسأل الله أن يتقبل مني ما أصبتُ، ويغفر لي ما فاتني، وما زلت، والحمد لله رب العالمين.

## خصائص النثر الإسلامي " الخطابة إنموذجاً "

د. محمد خضير فياض الحمداني

### المصادر والمراجع

#### القران الكريم

#### الحديث الشريف

1. اساس البلاغة/جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري/دار بيروت/ط1.
2. اسرار البلاغة/عبد القاهر الجرجاني/مكتبة التوفيقية مصر.
3. اصول الخطابة والانشاء/عطية محمد سال دار التراث المدينة المنورة .
4. البيان والتبيين/عمرو بن بحر الجاحظ/ت/عبد السلام هارون/مطبعة دار الفكر/بيروت1990.
5. تاريخ الأدب العربي في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية/مصطفى محمود/مطبعة الحلبي .
6. تاريخ الأدب العربي/العصر الإسلامي/شوقي ضيف/دار المعارف/القاهرة/سنة1986.
7. تاريخ الأدب العربي/عمر فروخ/1981/ط4.
8. تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني/حسن ابراهيم حسن/مطبعة دار الجليل بيروت/ط13.
9. تاريخ الطبري/محمد بن جرير/تاريخ الرس والملوك/مطبعة دار المعارف/مصر1961.
10. تلخيص الخطابة/ابن رشد/وكالة المطبوعات.
11. جمهرة خطب العرب/احمد زكي صفوت/مطبعة الباني الحلبي/القاهرة1933.
12. الخطابة/ارسطو طاليس/ترجمة امين سلامة.
13. الخطابة/محمد ابو زهرة/دار الفكر العربي/القاهرة.
14. السيرة النبوية/ابن هشام/مطبعة دار المعارف/القاهرة1990.
15. العمدة في محاسن الشعر وآدابه/ابن رشيق القيرواني/ت محمد قرقزان/مطبعة المعرفة/بيروت .
16. فن الخطابة/ احمد الحوفي/النهضة/ط1/سنة2002 .
17. الفن ومذاهبه في النثر العربي/شوقي ضيف/مطبعة دار المعارف/ط5/مصر .
18. لسان العرب/محمد بن منظور/دار الصادر/ط1 لبنان1990 .
19. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية/ناصر الدين الأسدي/دار الجليل 1988 .
20. مقدمة ابن خلدون/ عبد الرحمن محمد بن خلدون/ت/عبدالله محمد الدرويش/دار يعرب .